

تفسير البحر المحيط

@ 403 @ ديار مصر وهم ناهضون مع موسى عليه السلام ، وتقدمت قصة رفع الطور في البقرة .
والباء في بميثاقهم للسبب ، وهو العهد الذي أخذه موسى عليهم بعد تصديقهم بالتوراة أن
يعملوا بما فيها ، فنقضوا ميثاقهم وعبدوا العجل ، فرفع الله عليهم الطور . وفي كلام محذوف
تقديره : بنقض ميثاقهم . .

{ وَقُلْنَا لَنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا } تقدم تفسير هذه الجملة في القرة
. .
{ وَقُلْنَا لَنَا لَهُمُ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ } تقدم ذكره عند اعتدائهم في قوله :
{ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ } . وقرأ ورش لا
تعدوا بفتح العين وتشديد الدال ، على أن الأصل تعتدوا ، فألقت حركة التاء على العين ،
وأدغمت التاء في الدال . وقرأ قالون : بإخفاء حركة العين وتشديد الدال ، والنص بالإسكان
 . وأصله أيضاً لا تعتدوا . وقرأ الباكون من السبعة : لا تعدوا بإسكان العين وتخفيف الدال
من عدي يعدو . وقال تعالى : { إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ } وقرأ الأعمش والأخفش : لا
تعتدوا من اعتدى . .

{ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا } قيل : هو الميثاق الأول في قوله :
بِمِيثَاقِهِمْ { ووصف بالغلظ للتأكيد ، وهو المأخوذ على لسان موسى وهارون أن يأخذوا
التوراة بقوة ، ويعملوا بجميع ما فيها ، ويوصلوه إلى أبنائهم . وقيل : هذا الميثاق غير
الأول ، وهو الميثاق الثاني الذي أخذ على أنبيائهم بالتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم)
والإيمان به ، وهو المذكور في قوله : { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ
لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِّن كِتَابٍ } الآية . .

{ فَبِمَا نَقْضُهِمْ مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمْ
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ } قال ابن عطية فيما لخصناه
من كلامه ، هذا إخبار عن أشياء واقعوها في الضد مما أخذوا به ، نقضوا الميثاق الذي رفع
عليهم الطور بسببه ، وجعلوا بدل الإيمان الذي تضمنه الأمر بدخول الباب سجداً المتضمن
التواضع الذي هو ثمرة الإيمان ، كفرهم بآيات الله ، وبذل الطاعة ، وامتنال موافقته ، في
أن لا يعدوا في السبت انتهاك أعظم الحرم ، وهو قتل الأنبياء ، وقابلوا أخذ الميثاق
الغليظ بتجاهلهم وقولهم : قلوبنا غلف : أي : في حجب ، وغلف : فهي لا تفهم . وأضرب الله
تعالى عن قولهم وكذبهم ، وأخبر تعالى أنه قد طبع عليها بسبب كفرهم انتهى . والميثاق

المنقوض : أهو كتمانهم صفة الرسول وتكذيبه فيما جاء به ؟ أو تركهم العمل بما في كتابهم ؟ مع أنهم قبلوا والتزموا العمل بها قولان . وآيات القرآن التي كفروا بها أهي التي أنزلت عليهم في كتبهم ؟ أو جميع كتب القرآن المنزلة ؟ قولان . وتقدم شرح قلوبنا غلف في البقرة . . { بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ عُلَايِهِمْ بِكُفْرِهِمْ } أدغم لام بل في طاء طبع الكسائي وحمزة ، وأظهرها باقي السبعة . وقال الزجاج : بل طبع القرآن عليها بكفرهم خبر معناه الذم ، على أن قلوبهم بمنزلة المطبوع عليها التي لا تفهم أبداً ولا تطيع مرسلات . وقال الزمخشري : أرادوا بقولهم : قلوبنا غلف ، أي أن القرآن خلق قلوبنا غلفاً ، أي : في أكنة لا يتوصل إليها بشيء من الذكر والموعظة ، كما حكى القرآن عن المشركين : { وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ } وتكذيب المجبرة أخراهم القرآن ف قيل لهم : خذ لها القرآن ومنعها الألفاف بسبب كفرهم ، فصارت كالمطبوع عليها ، لا أن تخلق غلفاً قابلة الذكر ، ولا متمكنة من قبوله انتهى . وهو على مذهبه الاعتزالي . وأما أهل السنة فيقولون : إن القرآن طبع عليها حقيقة كما أخبر تعالى إذ لا خالق غيره . والباء في فيما نقضهم تتعلق بمحذوف قدره الزمخشري : فعلنا بهم ما فعلناه . وقدره